إن هذا الدرس التربوي هو الذي أرشد إليه المربي الأعظم (ﷺ) في قوله : " واتبع السيئة الحسنة تمحها " (١)

فهل نستطيع أن نتخلص من عقدة الذنب من حياتنا ، ونقبل على الله بيقين لا شك فيه أن ما مضي من حياتنا بعيدا عن الله إنما هو غثاء ، ونقضي ما بقي من حياتنا – وإن كان قليلاً – مع الله يبارك لنا بركة عظيمة ؟ .

إن سلطان العلماء العز بن عبد السلام قد بدأ طريق العظمة من بداية سن الأربعين من عمره ، واستطاع أن يعوض ما فاته واتخذ من عامل بعده عن طريق العظمة طوال الأربعين سنة عامل نجاحه العظيم الذي حققه ليكون ملء السمع والبصر ....

إن كل إنسان يستطيع أن يجدد حياته وينفي خبثها ، ولا يزرع فيها إلا طيبا متى كانت تلك البداية المهم صدق العزيمة والتوكل على الله .

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (٢)

****

١٠ – لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

إن القادة عادة يتوارون عن صفوف المواجهة بأبدانهم حفاظاً عليهم إذ أن الجند كله يصدر عن رأيه ، وعلى قدر تسديد رميته هو على قدر ما يصيب هدفه ....

---

١ – جزء من حديث رواه أبو داود وأحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر . صحيح الجامع الصغير رقم (٩٧) .

٢ – سورة الطلاق من الآية رقم : (٣) .

لكنا وجدنا رسول الله (ﷺ) ينهج نهجاً آخر يعبر عنه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله .....

" كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله (ﷺ) ، فما يكون أحد أقرب إلي العدو منه "

فكان رسول الله (ﷺ) من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل ، كان أشجع الناس ، حضر المواقف الصعبة وفر عنه الكماة والأبطال غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ، ولا يتزحزح ، وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة ، وحفظت جولة سواه (١)

وفي غزوة أحد قدم الرسول (ﷺ) أروع الأمثلة في الشجاعة والثبات والمواجهة أمام جيش بأكمله ينقطع خيطاً ليس له من هدف إلا قتل رسول الله (ﷺ) .

يقول الشيخ محمد الغزالي : " وقد أصيب هذا النبي الجليل في " أحد " أصيب في بدنه إذ دخلت حلقات المغفر في وجهه ، فأكب عليه أبو عباده يعالج انتزاعها بفمه ، فما خلصت من لحمه حتى سقطت معها ثنيتاه ، ونزف الدم – بغزارة – من جراحته ، كلما سكب عليه الماء ازداد دفقا ، فما استمسك حتى أحرقت قطعة من حصير فألصقت به ....

وكسرت كذلك رباعيته ، وكسرت البيضة على رأسه ومع ذلك فقد ظل متقد الذهن يوجه أصحابه إلي الخير حتى انتهت المعركة " (٢) .

---

١ – الرحيق المختوم ص (٥٧٢) .

٢ – فقه السيرة ٢٨٢ .

وفي السيرة النبوية لابن هشام : " وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة حتى خلص العدو إلي رسول الله (ﷺ) . فدث بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وكلمت شفته "

وجعل رسول الله (ﷺ) يمسح الدم وهو يقول :

" كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعوهم إلي ربهم فأنزل الله عز وجل قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) .

وعن أبي سعيد الخدري : عن عتبة بن أبي وقاص رمي رسول الله (ﷺ) يومئذ فكسر رباعيته اليمني السفلي ، وجرح شفته السفلي ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته ، وإن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، ووقع رسول الله (ﷺ) في حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ علي ابن أبي طالب بيد رسول الله (ﷺ) ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوي قائما ، ومص مالك بن سنان ، أبو أبي سعيد الخدري ، الدم عن وجه رسول الله (ﷺ) ثم ازدرده ، فقال رسول الله (ﷺ) " من مس دمي دمه لم تصبه النار " (٢) .

وقال : " من أحب أن ينظر إلي شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلي طلحة بن عبيد الله " (٣) .

وعن عائشة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : " أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله (ﷺ) ، فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين ولما غشى القوم رسول

---

١ - سورة آل عمران من الآية رقم : (١٢٨) .
٢ - السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٠ .
٣ - السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٠ .

الله (ﷺ) قال : " من رجل يشري لنا نفسه ؟ " أي نفسه لله " فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار ، وقيل عمارة بن سكن ، فقاتلوا دون رسول الله (ﷺ) رجلاً رجلاً يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى اثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئه من المسلمين ، فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله (ﷺ) : أدنوه مني فأدنوه منه فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله (ﷺ) (١) .

" وقام أبو دجانة أمام رسول الله (ﷺ) ، فترس عليه بظهره ، والنبل يقع عليه وهو لا يتحرك " (٢)

حتى صار ظهره كالقنفذ من كثرة السهام التى رشقت في ظهره من ضرب المشركين

" وتبع حاطب ابن أبي بلتعة عتبة ابن وقاص الذي كسر الرباعية الشريفة – فضربه بالسيف حتى طرح رأسه ، ثم أخذ فرسه وسيفه ، وكان سعد ابن أبي وقاص شديد الحرص على قتل أخيه – عتبة هذا – إلا أنه لم يظفر به بل ظفر به حاطب ....

وكان رسول الله (ﷺ) يباشر الرماية بنفسه ، فعن قتادة بن النعمان أن رسول الله (ﷺ) رمي عن قوسه حتى اندقت سيتها " ما عطف من طرفيه " فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينه حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله (ﷺ) بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما " (٣) .

من خلال تلك النصوص يتضح لنا الآتي

---

١ – السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني ص (٦٠) بتصرف .

٢ – الرحيق المختوم ٣١٨ – ٣١٩.

٣ – الرحيق المختوم ٣١٨ – ٣١٩ .

أ – أن اللحظة التى غشى فيها المشركون المسلمين من فوقهم ومن تحت أرجلهم كانت لحظات حرجة بالنسبة للأمة الإسلامية ...

فريق منهم تولوا وبقي منهم الثابتون قد عمهم الارتباك الشديد لدرجة أنهم قد قتلوا بعضهم خطأ . إذا فحركة الثابتين منهم كانت على غير هدى ، ولم يستطيعوا الحد من صواعق المشركين المرسلة ، وريحهم العاتية ، إلا أن شق الرسول (ﷺ) الطريق إليهم وناداهم هلم إلي أنا رسول الله (ﷺ) .

إذا لولا ثبات القائد (ﷺ) لما ثبت المسلمون ، فجلادهم وتضحياتهم إنما كان من أجل شخصه المبارك .....

ولو ترك الرسول (ﷺ) الميدان – وحاشاه – لحصد المشركون نصراً غاليا كان سيؤخر الفتح الإسلامي الشامل زمنا لا يعرف مداه .

ب – نتعلم من قدوتنا (ﷺ) اليقين بوعد الله تعالي إذ قال له ربه ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ (١) .

إذ شق الرسول (ﷺ) الأهوال وامتطي صهوة الموت وعنده يقين أن الله مانعه وعاصمه لذلك عصمه الله ومنعه من القتل :

يقول الشيخ صفيي الرحمن المبار كفوري :

" وكانت أحرج ساعة بالنسبة إلي حياة الرسول (ﷺ) وفرصة ذهبية بالنسبة للمشركين ، ولم يتوان المشركون في انتهاز هذه الفرصة ، فقد ركزوا حملتهم على النبي (ﷺ) وطمعوا في القضاء عليه ....

قال نافع بن جبير :

---

١ – سورة المائدة الآية رقم : (٦٧) .

سمعت رجلاً من المهاجرين يقول : شهدت أحداً ، فنظرت إلي النبل يأتي من كل ناحية رسول الله (ﷺ) وسطها ، كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ :

دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا ، ورسول الله (ﷺ) إلي جنبه ما معه أحد ، ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان ، فقال :

والله ما رأيته ، احلف بالله أنه منا ممنوع – فخرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إلي ذلك (١)

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

فلقد تسربل النبي (ﷺ) بثوب العناية الإلهية فقام يجاهد في الله حق جهاده حملت إلينا كتب السيرة العديد من محاولات قتله بيد الغدر لكن الله كان ينجيه .

فليتعلم المسلم من هذا أن ما أخطأ المسلم ما كان ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطأه ، فليمض في طريقه وهو يوقن أن الأجل والرزق بيد الله وحده ولن تستطيع أي قوة – ولو كانت الدنيا بأسرها – أن تغير من قدر الله شيئاً والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

١١ – السياسة جزء من الشريعة الإسلامية

وهي العمود الفقري للإسلام

وأما الذين يقولون غير ذلك فهم العلمانيون الكارهون للإسلام ولا عبرة بمفتريياتهم تلك ...

---

١ – الرحيق المختوم بتصريف كبير انظر ص (٣١٤ ، ٣١٨) .

فالنظام السياسي في الإسلام نظام حافل بالآيات الكثيرة والأحاديث الصحيحة التى استمد منها منهجه بل إنك لتنظر إلي طوال سور القرآن فتراها حافلة بالحديث عن السياسة إذا قرأت سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، بل إنه من الصواب أن نقول أنه لا تخلو سور القرآن الكريم إلا وفيها حديث عن السياسة ...

وهي حقيقة أعظم من أن توضح ، وأما زبد هؤلاء العلمانيين فقد ذهب جفاءاً ، والله غالب على أمره ، ومتم نوره ولو كره الكافرون

وإن غزوة أحد ضمن غزوات الرسول (ﷺ) التى قادها بنفسه وقدم فيها أروع المثل في مجالدته للمشركين إمتثالاً لقول الله تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) لهي دليل ساطع على أنه لا فرق بين السياسة والدين فهما شيء واحد وأن الرسول (ﷺ) قادهم في المعارك

وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وأن الوضوء – على سبيل المثال – الذي هو فرض لابد منه لقيام عمود الإسلام (الصلاة) ذكر في آية واحدة بينما ورد ذكر السياسة في مئات الآيات .

١٢– إن أحداث غزوة أحد صورة مصغرة للأحداث التاريخية التى مرت بها الأمة الإسلامية بعد رسول الله (ﷺ)

فإذا كان المسلمون قد كسبوا الجولة الأولي

---

١ – سورة التوبة (٧٣) ، التحريم (٩) .

وإذا كان المشركون قد أحاطوا بهم على حين غفلة منهم بسبب ضعف من بعضهم ، وإذا كان المسلمون الثابتون – وهم قلة – قد استطاعوا أن يزيحوا ركام المشركين من على أكتافهم ، ويضعوا أنفسهم فداء لرسول الله (ﷺ) ....

ثم ما لبثوا أن خرجوا إليهم في "حمراء الأسد" مما هون كثيراً جداً من جراحات المسلمين النفسية ... الخ

فإن المسلمين ضربوا بجذورهم في أرض الله سادة ، وحكموا الدنيا قرونا ، لكن دب إليهم ولع الدنيا ، وتفرقوا فوهن سلطانهم .

واستطاع الحاقدون أن يحيطوا بنا من كل جانب ...

وفي ظني أننا الآن بتلك المرحلة الحاسمة التى مر بها أصحاب الرسول وهم – يجالدون المشركين عن رسول الله (ﷺ) فإن الثابتين على الحق ممن لا تفتنهم المناصب ، ولا تغريهم الأموال ولا يقعد بهم حب الدنيا يجالدون الباطل في المسجد الأقصى بالحجارة ، وفي الشيشان ، وفي الفلبين ، وفي بورما ، وفي كل مكان ... نرى الدعاة والمجاهدين يحاولون تقوية ظهر الأمة الإسلامية بمن جديد ليكون لها كيان دولي تستطيع أن تحافظ به على حقوقها ، ولقد حقق الله للأمة بعض المبشرات في كل الميادين ، وسيظل الدفع من أبناء الإسلام قائما حتى يدركهم الله بنصر شامل يستعيدون فيه مجدهم وعزهم ، وأننا لنراه قريباً ولم لا ، ورسول الله (ﷺ) ، رسم للأمة مستقبلها كما رسم لها حاضرها ، وكان مما تنبأ به ....

(إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) (١) وهذا لم يتحقق من قبل ، وسوف يتحقق في الجولة القادمة بإذن الله تعالى .

.....

١٣ – وتلك الأيام نداولها بين الناس

إنه سنة المداولة وسنة الله في الكون لا تتخلف فينتصر المسلمون في أول غزوة ليتفاعل الناس ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٢) .

وينتصر المسلمون نصراً شاملاً لبيان أن العاقبة للمتقين ..

ويكون بين هذا وذلك إقبال وإدبار ، ونصر وهزيمة ، ليتأكد للمسلمين أن النصر بيد الله ، وأنه من الله ، ويميز الله الخبيث من الطيب ولينفي الإسلام خبثه ، وإلا لكان عبد الله بن أبي بن سلول وأبو بكر سواءً عند الأنصار .

يقول ابن القيم : " إن حكمة الله وسننه في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ، ويدال عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة فإنهم لو انتصروا دائما ، ودخل معهم المؤمنون وغيرهم ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انتصروا عليهم دائما لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة ، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق ، وما جاءوا ممن يتبعهم على الظهور والغلبة الخاصة (٣) .

---

١ – الحديث بتمامه صحيح مسلم بشرح النووي / كتاب الفتن وأشراط الساعة ٨ / ١٣ / عن ثوبان ، وفي سنن أبي داود / كتاب الفتن والملاحم / ٤ / ٩٥ برقم ٤٢٥٢ .

٢ – سورة الصافات الآية رقم : (١٧٣) .

٣ – زاد المعاد في هدي خير العباد ٢ / ١٦٤ .

أن سنة التداول إنما هي ميزان الله الدقيق الذي توزن به أخلاق الأمم وطبائعها فالله عز وجل قال :

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١) – الصالحون لحمل منهج الله ، المسيطرون بمحاسن الأخلاق ، العاملون على استعمار الأرض ونفي الخراب .

أما من عصي وتجبر في ظلمه فإن عدل الله يصيبه أن يأخذ منه الريح ويديلها عليه .

ولهذا فإننا نجد سلطان الكرة مع الغرب الذي أفسد في الأرض بكل قواه فإننا نرتقب أن ينزع الله الملك منه .

يقول فضيلة الدكتور القرضاوي : (٢) " ومن نظر في أحوال الأمم عبر التاريخ يجد شعلة الحضارة تنتقل من أمة إلي أمة ، ومن يد إلي يد أخرى ومن حسن حظنا ، أن سنة التداول ، أو قانون المداولة بين الناس يعمل معنا لا ضدنا ، وكما قال حسن البنا : أن الدور لنا لا علينا فقد كانت قيادة العالم قديما في يد الشرق على يد الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والكلدانية والفينيقية والهندية والصينية ثم انتقلت هذه القيادة مرة أخرى إلي الشرق على يد الحضارة العربية الإسلامية ، وهي حضارة متميزة جمعت بين العلم والإيمان ، بين الرقي المادي والسمو الروحي ...

ثم غفا الشرق ، وغفل عن رسالته ، فأخذ الغرب الزمام ، وكانت له القيادة مرة أخرى ، ولكنه لم يرع أمانة هذه القيادة ، بل أفلس في ميدان الروح والأخلاق ، وفرط في العدل ، وأعلي القوة على الحق ، والمادة على الروح ،

---

١ – سورة الأنبياء الآية رقم : (١٠٥) .

٢ – حولية كلية أصول الدين العدد العشرون ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م بحث بعنوان (بث روح الأمل للمؤلف) ص (٧٥٨) .

والجماد على الإنسان ، وكال بمكيالين في التعامل مع القضايا البشرية فكان من سنة الله سبحانه وتعالي أن تنتقل الشعلة إلي غيره والمفروض حسب استقراء التاريخ أن تعود إلي الشرق مرة أخري ، الشرق الذي يملك رسالة غير رسالة الغرب ، وهو الشرق الإسلامي ، فعليه أن يتهيأ لذلك ، ويعد له العدة .

قال تعالي : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(٢)

وانظر كتاب القرضاوي "المبشرات بانتصار الإسلام" وهذه من المبشرات الحافزة على العمل على تبليغ دعوة الله إلي الناس كل الناس ، فإن العالم الغربي قد أشقته الأيدلوجيات ، من ينقذه من شقائه إلي حياة فيها طمأنينة؟؟ حياة الإيمان بالله ورسوله (ﷺ) .

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣)

.....

١٤ – ومنها – وما قاله ابن القيم – إن هذا من أعلام الرسل ،

كما قال هرقل لأبي سفيان : هل قاتلتموه ؟ قال : نعم .

قال : كيف كان الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ، يدال علينا مرة وندال عليه الأخرى ...

قال كذلك الرسل تبتلي ، ثم تكون لهم العاقبة (١)

---

١ – سورة الأعراف من الآية رقم : (١٢٩) .
٢ – سورة الأنبياء الآية رقم : (١٠٥) .
٣ – سورة الرعد الآية رقم : (٢٨) .

هذه من أبرز الدروس الإيمانية المستفادة من غزوة أحد .. وهناك العديد من الفوائد الفرائد ، والحكم العظيمة من أراد المزيد منها فليرجع إلي كتب السيرة خاصة كتاب (زاد المعاد الجزء الثاني) .

حجم النصر الذي حققه المشركون

من تمام القول أن نذكر حجم النصر الذي خطفه المشركون من يد المسلمين في أحد ..

فبعد أن رأينا العديد من الحكم التي آلت إليها المعركة من مصيبة في المسلمين ، ودروس للأمة الإسلامية بأسرها ما كانت لتعيها لولا ما أصاب أصحاب الرسول (ﷺ) في أحد ، نشرع في بيان هذه الحقيقة ...

(هل حقق المشركون نصراً .. يحسدون عليه ؟)

يجيب عن هذا السؤال الأستاذ / محمد فريد وجدي بقوله :

إن هذه الواقعة في عرف رجال الحرب تعتبر أنها أفضت إلي هزيمة المسلمين ، ولكن المتأمل فيها لا يجدها شبه الهزائم في شيء فإن المعهود في الهزائم أنها تقتضي أن يولي المهزوم الأدبار ، وأن يتعقبه خصمه الظافر ، يقتل بعض جنوده ويأسر بعضا آخر ، ويستولي على جميع معسكره ، فإذا كان يريد أن يفرغ من خصمه نهائياً كما كانت نية المشركين من قبل ، تبع العدو المنتصر المنهزمين إلي مقر تجمعهم سواء أكان ذلك معقلاً أم مدينة ، استولي عليه وأقام فيه حامية لمنع عدوهم إلي معاكسته ...

---

١ - زاد المبعاد ٢ / ١٦٤ ، انظر الحديث بتمامه في فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب بدء الوحي / باب رقم ٦ / ج ١ ص (٤٢ - ٤٤) برقم ٧ والزيادة (قال كذلك الرسل ... الخ) ليست في البخاري .

ولكن الذي أنساه عقب هذه الوقعة أن المشركين بعد ان انتصروا على المسلمين لم يتعقبوا فلولهم ، ولم يحتلوا مدينتهم ، بل لم يعملوا على أسر النبي (ﷺ) ، وهو رأس هذه الحركة القائمة ضدهم ، وعاد من ميدان المعركة على مهل ، ثم لم يعجله شيء عن إصلاح شأنه وغسل جراحه ، ومن أغرب ما يلاحظ أن قائد المشركين صعد الجبل وخاطب المسلمين ، وهم على مسمع منه ، وواعدهم العام المقبل كأن الفريقين في مباراة رياضية ، لا في واقعة حربية ! ولم يعهد مثل هذا قط في تاريخ الحروب وخاصة القديمة إذ كانت إلي التفاني أقرب منها إلي التنازع الإنساني ... ولا يمكن أن يقال أن جيش المشركين كان خلوا من وسائل المطاردة ، فقد كان فيهم مائتا خيال تحت إمرة أمهر قادة الحرب في الجاهلية خالد بن الوليد ، وقد كان في وسعه على الأقل أن يحيط النبي (ﷺ) بخيالته فيمنعه الرجوع إلي المدينة ، وقد ثبت أن النبي (ﷺ) لم يعد من ساحة القتال في أكثر من بضعة عشر رجلاً وأربع عشر امرأة فأى عون من الله لنبيه اظهر من هذا في مثل هذه المحنة ؟ وقد تبين المشركون بعد أن بعدوا عن المدينة ، أنهم ارتكبوا خطأ فاحشاً في ترك المسلمين وشأنهم ، إذ قال بعضهم لبعض : أى شيء فعلتم ، لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئس ما صنعتم ! ارجعوا

فبلغ النبي (ﷺ) فخرج إليهم في عسكره ، ولحق بهم ، فلما رأي المشركون ذلك ، وقد ذاقوا استيسالهم في الحرب خشوا أن تدور الدائرة عليهم فانصرفوا .

لا جرم أن هذا من أعجب ما يحفظه تاريخ التنازع بين الحق والباطل (١)

ونخرج من هذا إلي أن هجوم المشركين على المسلمين في أحد إنما كان من قدر الله الذي قدره بقدر إلي قدر ، حيث إن المشركين قد صرفوا بعده عن

---

١ – السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة – لمحمد فريد وجدي ص (٢٠٦) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الهجوم إلي الفرار ، والفرار خوفاً من تضائل فرصة النصر أمامهم بعد أن أهديت إليهم ، بخطأ بعض المسلمين ، الفرار من تماسك الفئة التى ولت ، ورجوعها ، الفرار من مدد جديد يأتي من المدينة ليطوقهم ..

لهذا وصلوا إلي مرحلة كان حرصهم فيها على الرجوع أقرب من قطف الثمار التى يحقق بها المنتصر عادة ثمن كرته ، فذهلوا عن هذا ، واثروا التعجل بالرجوع إلي مكة ....

إن ندمهم الشديد على أنهم وهم الألف تقريباً لم يستطيعوا أن يجهزوا على البضعة عشر رجلاً وأربع عشرة امرأة ...

لسان حالهم ومقالهم : ما الذي أصابهم ؟ أين كانت عقولهم ؟

الجواب : أنهم قد صرفوا ...

إذا .. فقد كان هجومهم على المسلمين إنما كان بقدر الله ليؤدب به العصاة من الأمة الذين غاب عنهم قوله تعالي : ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)

فإذا ما تم مراد الله تعالي صرف الله المشركين عن عباده وأوليائه

لذلك لما وصل المشركين خبر الخزاعي أن المسلمين تحت قيادة نبيهم قد جمعوا لكم ذهب ريحهم ولم يصبروا مولين وجوههم إلي مكة معبرين بلسان حالهم أن نفس الكفر قصير ، وأنهم كما قال تعالي :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ (٢) .

ذكر بعض الباحثين خمسة أدلة على انتصار المسلمين في غزو أحد :-

---

١ - سورة الأنفال الآية رقم : (٢٥) .

٢ - سورة البقرة الآية رقم : (٩٦) .

الأول : أن قريشا لم تحقق الأهداف والغايات التى جاءت من أجلها ، وهي القضاء على الدين الإسلامي وتأمين طرق التجارة لقوافلهم القادمة من الشام ، واستعادة هيبتها بين القبائل العربية ، ورد اعتبارها كزعيمة عربية .

الثاني : نهاية المعركة :- حيث انسحاب قريش من أرض المعركة ، فكانوا أول من فر من أرض المعركة كما فروا في غزوة بدر منهزمين .

الثالث : الباقي في أرض المعركة :- أن الباقي في أرض المعركة دائماً هو المنتصر ، والفار منها هو المنهزم ، والذي فر من أرض المعركة هم كفار قريش قبل أن تنتهي ، أما الرسول (ﷺ) فقد بقي في أرض المعركة ، وأقام فيها ، ودفن الشهداء ، وهو آخر من ذهب من أرض المعركة ، بينما فر المشركون .

الرابع : دليل من قولهم على هزيمتهم . حيث قال المشركون : (لم تصنعوا شيء أصبتم شوكتهم وحدهم ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم) .

الخامس : قول ابن عباس : ما نصر النبي (ﷺ) في موطن كما نصر يوم أحد ، قال وانكرنا ذلك ، فقال ابن عباس – رضي الله عنه – بيني وبينكم كتاب الله عز وجل : إن الله عز وجل يقول يوم أحد : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** ﴾

يقول ابن عباس والحس : القتل ﴿ **حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (١) .

هذه خمسة أدلة على انتصار المسلمين في أحد في مقابل دليل واحد فقط على انتصار قريش ..

---

١ – سورة آل عمران الآية رقم : (١٥٢) .

(فالمؤرخون يقومون النصر والهزيمة أيضاً على ضوء ما لحق الجيشين من الخسائر ، فمن كانت خسارته أكثر فهو المهزوم ، ومن كانت خسارته أقل فهو المنتصر وقد انجلت المعركة عن قتل سبعين من المسلمين واثنين وعشرين من المشركين) .

والخلاصة .. أننا بعد استعراضنا لعلامات النصر والهزيمة على هذا النحو تبين لنا (أن الجيش الإسلامي قد حصل على خمسة أدلة على انتصاره بينما حصل كفار قريش على دليل واحد فقط أي بنسبة خمسة إلي واحد . فمن يا ترى يكون المنتصر ؟) .

فالمشركون قد رجعوا بخمس الانتصار ، وبقي للمسلمين أربعة أخماسه ، ولولا المعصية لما نال المشركون إلا الكتب والخذلان *

علاج آثار غزوة أحد

لقد تركت أحداث غزوة أحد – كما ذكرت سالفا – آثاراً على المستوى الداخلي والخارجي ..

وإن كانت آثاراً مؤلمة كما ذكر الشيخ محمد الغزالي في كتابة فقه السيرة إلا أن هذه المحن كانت منحا من الله عز وجل فأما آثارها على المستوى الداخلي في المدينة حيث شماتة المنافقين واليهود واستعلائهما على المسلمين ...

فلقد تميز الصف المسلم وميز الله الخبيث (المنافقون) من الطيب (أصحاب الرسول (ﷺ))

---

* انظر : (١) غزوة أحد دراسة دعوية لمحمد بن عيظة بن سعيد بامدحج ص (١٣١ ، ١٣٢) بتصرف كبير – دار اشبيليا للنشر والتوزيع .

(٢) من معارك الإسلام الفاصلة "غزوة أحد" محمد أحمد باشميل ص (٢٦٠) وما بعدها – المطبعة السلفية .

وأدرك المسلمون ما تنطوى عليه أفئدة اليهود من حقد دفين فتحفزوا لمعركة فاصلة يستريحون فيها من روث القردة والخنازير والفئران إلي الأبد .

وأما آثارها على المستوي الخارجي حيث المشركين أعداء المسلمين ...

فلقد انطلق المسلمون في غزوة حمراء الأسد التى ذكرناها – سابقاً – ونزل فيهم قول الله تعالي : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

ولقد طمع الأعراب – الذين تعودوا ألا يقيموا وزنا لغير القوة في نهب أموال المسلمين وسبي نسائهم ، فأمر رسول الله (ﷺ) أبا سلمة بقيادة قوة عسكرية لمباغتتهم ، ففر بنو أسد في الشعاب والجبال وغنم أبو سلمة أموالهم وإبلهم .

وفي المحرم سنة ٤ هـ أجهض عبد الله بن أنيس محاولة قبائل هذيل وبني اللحيان الإغارة على المدينة للسلب والنهب ، باغتيال قائدهم خالد بن سفيان ، إذ أذن الرسول (ﷺ) لعبد الله في اختراق جيشهم للقضاء على قائدهم إذا استوثق من عزمهم (٢)

والمتأمل في هذا يدرك ما كان يتمتع به رسول الله (ﷺ) من يقظة فائقة وإدراك للمؤامرات التى تحاك للأمة الإسلامية قبل نضجها ، وعبقرية وأدها ...

---

١ – سورة آل عمران الآيات رقم : (١٧٣ ، ١٧٤) .

٢ – جاسم عبد الرحمن – رياض الجنة ٢ / ٩٨ المكتب المصري ، وانظر هذين الخبرين في السيرة المحمدية لمحمد فريد وجدي ، ص (٢٠٧) وما بعدها ، وزاد المعاذ ٢ / ١٧٨ ، والسيرة للشيخ الغزالي .

فشتت شمل بني أسد بسرية أبي سلمة إذ غشيهم على حين غفلة منهم وقذف الله الرعب في قلوبهم فولوا الأدبار ، وقتلت أطماعهم ، وجعل الله أموالهم غنيمة للمسلمين .

وأحبط مؤامرة خالد بن سفيان الهذلي الذي سعى في تجميع العرب للقضاء على المسلمين بالمدينة بأن بعث إليه عبد الله بن أنيس الذي أظهر له بأنه قد جاء إليه يسعى لينطوي تحت لوائه الذي رفعه لقتال " محمد " والحرب خدعة ، فقتل رأس الفتنة وخمدت نيرانها ...

وبهذا خيب رسول الله (ﷺ) ظنون العدو بأن المسلمين ضعفاء يسهل القضاء عليهم ...

إنما هم أصحاب قوة يستطيعون تأديب كل من تطاول عليهم ...

قضي الرسول (ﷺ) على هاتين المؤامرتين الخطيرتين دون أن يراق دم واحد من أصحابه ولقد فهم الأعداء في الداخل والخارج أن ما أصاب المسلمين في أحد إنما هو كبوة جواد ، وعثرة فارس ...

وعلى هذا ضمد المسلمون جراحاتهم ، وجبروا كسيرهم ، وعوضوا نقصهم ، فانطلقوا في الأرض يطهرونها من الوثنية ، ويرفعون راية الحق وكان أول ما شفى الله به صدورهم – في هذا – غزوة بني النضير تلك التى قطعت أواصر التحالف بين رأسي الكفر في المدينة "(اليهود والمنافقين)

خاتمة

هذه أبرز الدروس التربوية المفيدة للفرد والمجتمع المسلم استقيناها من أحداث غزوة أحد ، والتي تعد مدرسة تربوية شاملة لا غني لأي مسلم عن مدارستها والوقوف على أحداثها الخالدة وفقة المستلهم المعتبر ..

وهي غزوة حافلة بما هو أكبر مما ذكرنا في تلك الصفحات وإنما هو جهد المقل ، حاولت فيه أن ألمس الواقع ، وأحذر نفسي وكل عاص ...

أن ما عند الله لا يدرك بمعصية ، وأن الطاعة لله تعالي هي بداية كل توفيق ، وسبيل كل رشاد .

وأن الابتلاء في حياة الفرد والجماعة أمر لابد منه ليميز الله الخبيث من الطيب ولتتضح الحقائق للأمة المسلمة وأن السلف الصالح ضحوا في سبيل دينهم بكل غال وثمين آملين في مرضاة ربهم ورفع راية دينهم ...

وأننا لن نتذوق طعم الانتصار إلا يوم أن نجدد أوبتنا إلي الله ونستمسك بالعروة الوثقي ونمضي خلف نبينا مقتفين بهديه سائرين على سنته (ﷺ) ...

وأن نحرص على التمسك بتلك الفريضة الغائبه عنا في حياتنا نحن المسلمين فريضة التخطيط لدعوتنا ، والعمل الجاد المدروس الهادف ، وليس العمل العشوائي الذي لا يصيب الدعاة من ورائه إلا التعب غير المثمر .

هذا هو النبراس لمن أراد الخلاص من ظلمات الذل والهوان إلي ذرا العزة والكرامة ...

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

أهم مراجع البحث

١- القرآن الكريم .

٢- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ط دار الكتب العلمية .

٣- الجامع لأحكام القرآن / للإمام أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبى – دار الكتب العلمية .

٤- حقيقة القومية العربية واسطورة البعث العربي الشيخ / محمد الغزالى

٥- حولية كلية أصول الدين بالمنوفية العدد العشرين ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٦- حياة الصحابة للكاندهلوى مكتبة النور الإسلامية .

٧- الداء والدواء لابن قيم الجوزية – مطبعة المدني .

٨- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري – دار الريان .

٩- رياض الجنة جاسم عبد الرحمن المكتب المصري .

١٠- زاد المعاد في هدي خير العباد الإمام / شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – المكتبة القيمة .

١١- سنن أبي داود للإمام الحافظ المتقن أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني الأزدي ط دار الحديث .

١٢- السيرة المحمدية في ضوء العلم والفلسفة / محمد فريد وجدي – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٣- السيرة النبوية – لابن هشام المعافري – دار التراث الإسلامي .

١٤- السيرة النبوية د / علي محمد الصلابى – دار التوزيع والنشر الإسلامية .

١٥- صحيح مسلم بشرح النووى الإمام / أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري – مكتبة الدعوة الإسلامية .

تابع أهم مراجع البحث

١٦- صفة الصفوة لابن الجوزي – دار ابن خلدون .

١٧- غزوة أحد دراسة دعوية / محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج – دار اشبيليا .

١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – دار الريان .

١٩- فقة السيرة د / محمد سعيد رمضان البوطي – دار الفكر ط ٧ .

٢٠- فقة السيرة . الشيخ محمد الغزالى – دار الكتب الإسلامية .

٢١- فى ظلال القرآن – سيد قطب – دار الشروق .

٢٢- مختصر سيرة الرسول (ﷺ) محمد بن عبد الوهاب – الدار الثقافية العربية – بيروت .

٢٣- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي – مكتبة أسامة الإسلامية .

٢٤- المعجم الوجيز / مجمع اللغة العربية .

٢٥- من معارك الإسلام الفاصلة (غزوة أحد) محمد أحمد باشميل – الطبعة السلفية ومكتبتها .

٢٦ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للمرحوم الشيخ محمد الخضري – مكتبة الإيمان بالمنصورة

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣١٧
منهجي في البحث	٣٢٤
التعريف بمصطلحات عنوان البحث	٣٢٥
غزوة أحد	٣٢٥
تمهيد وحدث	٣٢٧
أبرز الدروس والعظات والعبر من الغزوة	٣٣٥
١ – أن الصراع بين الحق والباطل دائم أبداً ما دامت السموات والأرض	٣٣٥
٢ – الشورى فريضة شرعية وضرورة بشرية	٣٣٩
٣ – أن غزوة أحد كانت انتصاراً على المنافقين، كما كانت غزوة بدر وغيرها انتصاراً على الكافرين	٣٤٣
٤ – إن المؤمنين لم ينتصروا في أي معركة قد دخلوها بكثرة عددهم وبأس عتادهم	٣٤٦
٥ – دور المرأة في المعركة	٣٤٧
٦ – خطورة المعصية	٣٥٠
٧ – رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه	٣٥٣
أ – أنس بن النضر	٣٥٣
ب – حنظلة بن أبي عامر الراهب	٣٥٣
ج – عمرو بن الجوح	٣٥٧
٨ – العبرة بالخواتيم	٣٥٩
* فائدة	٣٦٤

محتويات الفهرس

الموضوع	الصفحة
٩ – الكيس من اتخذ من عامل خيبته في أمسه عامل نجاحه في غده	٣٦٥
١٠ – لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	٣٦٨
١١ – السياسة جزء من الشريعة الإسلامية وهي العمود الفقري للإسلام	٣٧٣
١٢– إن أحداث غزوة أحد صورة مصغرة للأحداث التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية بعد رسول الله (ﷺ)	٣٧٤
١٣ – وتلك الأيام نداولها بين الناس	٣٧٦
١٤ – ومنها – وما قاله ابن القيم – إن هذا من أعلام الرسل،كما قال هرقل لأبي سفيان : هل قاتلتموه ؟ قال : نعم	٣٧٨
حجم النصر الذي حققه المشركون	٣٧٩
علاج آثار غزوة أحد	٣٨٣
خاتمة	٣٨٦
أهم المراجع	٣٨٧
محتويات البحث	٣٨٩